المصدر: الاهرام
التاريخ : ١٠ مايو ٢٠٠٩

عالم وباء.. وباء!!

كتب: شريف طـه

الوباء علم قائم بذاته، تتحكم في حدوثه أمور عديدة، وأسباب استمراره أيضا عديدة، فهو منظومة من حالات الانتشار المتكرر وبشكل متصاعد، تبدأ ببطء ثم تشتد وتيرتها لتبلغ قمتها إلي أن تختفي شيئا فشيئا. والعالم لم يخل حينا من الأوبئة التي تظهر ثم تخبو وتستمر ثم تعاود الظهور وهكذا، وأنواع الميكروبات منها ما هو قديم ومنها ما هو جديد، لكن المهم هو أن كل نوع يحتاج إلي ظروف تتهيأ له كي يظهر وينتشر علي هيئة وباء. ويعيش العالم اليوم حالة من الترقب لاحتمال ظهور وباء عنيف لفيروسات إنفلونزا الخنازير.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يسهل ظهور الأوبئة في العالم اليوم؟ والإجابة في حقيقة الأمر صعب تحديدها بدقة، لكن هناك العديد من الأسباب، فالأوبئة أشد ما تكون بين الأنواع التي تنتقل من الإنسان إلي الإنسان والتي تشكل٦٥% من الأمراض الميكروبية.
والظروف التي كان يعيشها البشر من قبل لم تكن مناسبة ومسهلة لانتشار الأوبئة كما هو الحال اليوم، لأن تعداد البشر بلغ معدلات تتجاوز٦ مليارات نسمة، والأهم أن أكثر من

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

نصفهم يعيشون في المدن وهما أمران لم يسبقا من قبل. وتركيبة المدن اليوم تتخذ شكلا غريبا إذ تنتشر علي أطراف أكثرها أحزمة من الأحياء الفقيرة المكتظة بالسكان، حيث الجهل والجرائم والمخدرات والعنف وتدني الرعاية الطبية والتثقيف الصحي، كما أن غالبهم مهاجرون من الأرياف ويتنقلون بانتظام من المدن إلي الأرياف لزيارة ذويهم، بمعني أنهم يجلبون ظروف الريف إلي المدينة. ومع الترابط العالمي وسهولة الانتقال في السياحة أو العمل من خلال أكثر من ٥٠٠٠ مطار دولي، وتجاوز مليون راكب يوميا الحدود الدولية فإن أوضاع أرياف المناطق النائية من القارات البعيدة تنتقل بسهولة إلي المدن العالمية.

ويحدث الوباء العام العالمي عندما يظهر أو يتطور نوع جديد من الفيروس يكون قادرا علي الانتقال من شخص إلي آخر بسهولة، حيث لايوجد لدي أجسام الاشخاص أي مضادات بسبب عدم تسببه بعدوي سابقة. وحيث يستطيع الفيروس الدوران بين الاشخاص يصبح قادرا علي الانتشار بصورة هائلة وبسرعة عجيبة.

أوبئة القرن العشرين

وخلال القرن العشرين ظهرت ثلاث حوادث لوباء عام كان أبرزها في عام١٩١٨ ـ١٩١٩ وسميت الإنفلونزا الإسبانية، حيث كان فيروس الإنفلونزا من نوع(H1N1). وتسببت في وفاة نصف مليون شخص في الولايات المتحدة و ما

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يقرب من ٥٠ مليون نسمة في أنحاء العالم، وأغلب الوفيات حدثت في الأيام القليلة الأولي للإصابة، وانتشرت كل هذه الوبائيات في جميع أنحاء العالم خلال سنة واحدة من بداية ظهورها. ثم ظهرت الإنفلونزا الآسيوية في عام ١٩٥٧ ـ١٩٥٨ وتسببت في وفاة ما يقرب من ٧٠٠٠٠ شخص في الولايات المتحدة وحدها. وظهرت بعد ذلك إنفلونزا هونج كونج عام ١٩٦٨ ـ١٩٦٩ من نوعH3N2 وتسببت في مقتل٣٤٠٠٠ شخص في الولايات المتحدة. ولوحظ أن هذه الفيروسات تحتوي علي جينات منتقلة من الإنفلونزا البشرية.

خبراء الصحة هذه الأيام لا يحملون لنا أخبارا سارة، بل يتحدثون عن انتشار متزايد للأمراض المعدية في مجتمعات مختلفة بين غنية وفقيرة، وشمالية وجنوبية، ووفق الاحصاءات الحديثة فإن ما يقرب من الـ٤٠ نوعا من الأمراض المعدية الجديدة أطلت علي العالم خلال الثلاثين سنة الماضية لأول مرة. وبرغم تراجع الوفيات نتيجة الأمراض المعدية منتصف القرن الماضي، فقد تضاعفت اليوم نسبة الوفيات في الولايات المتحدة مقارنة بما كان عليه الحال في عام١٩٨٠، لذلك يبدو أن تعليق مدير المركز الأمريكي مراقبة الأمراض والوقاية منها في عام٢٠٠٣ كان في محله، حينما قال الدكتور جيلي جربردنج إن ما نقوم به هذه الأيام للحيلولة دون انتشار مرض سارس سنقوم به لاحقا مرات ومرات. وصدق توقعه، فالعالم اليوم بأجمعه يعيش حالة من الترقب والحذر منذ انتشار وباء إنفلونزا الخنازير. وكان خبراء مؤسسة الصحة في

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الولايات المتحدة عللوا هذا الارتفاع في ائتشار الأمراض الوبائية بـ١٣ تغيرا في العالم وفي طريقة حياة الناس، ساهمت في نشوء هذه الأمراض، أهمها قدرة تكيف الميكروبات مع الأمصال المضادة، وزيادة قابلية البشر للإصابة بالعدوي، وتغيرات المناخ والبيئة، وتغيرات الخريطة السكانية للعالم والتطورات الاقتصادية والتجارة والسياحة الدولية وانهيار معايير الصحة العامة والفقر والحروب والمجاعات وغيرها.

أوبئة متوطنة

واليوم ينتشر ما يربو علي عشرة أنواع من الأوبئة في مناطق عدة من العالم. وأكثر الأنواع المنتشرة اليوم التهاب الكبد الوبائي من نوع سي ومرض الإيدز ومرض كربتوسبوريديم - طفيلي معوي يصيب البشر ويؤدي الي الاسهال الشديد -، ومرض ليجيونايرس - مرض الفيلاق والذي ينتقل عبر رذاذ المياه الملوثة -، و إي كولاي - عصويات معوية توجد في الجهاز الهضمي وتؤدي الي العدوي، خصوصا في الجهاز البولي - وكلها ظهرت في الفترة بعد عام ١٩٧٠. والتي يصفها الدكتور بول إبستن من كلية هارفارد للطب بأنها الحقبة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأوبئة.

وبحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية فإن إصابة البشر بالميكروبات سببها انتقال العدوي من إنسان إلي آخر في٦٥% من الحالات،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كالإيدز والإنفلونزا التقليدية والدرن، وفي ٢٥% من الحالات يكون انتقال الميكروب إلي الإنسان من الطعام أو الماء أو التربة كالكوليرا أو التيفود، وفي١٣% من الحالات تكون هناك حشرة تنقل المرض إلي الإنسان كالملاريا وحمي الضنك، أما الحيوانات فلا تشكل سوي أقل من١% من حالات الانتقال المباشر إلي الإنسان كداء الكلب.

ولكن أمام هذه القائمة المتزايدة من الأمراض المعدية والأوبئة المرعبة أيها يحمل في طياته خطرا أعظم وتهديدا أكبر لأفراد الجنس البشري؟!. وللإجابة علي هذا السؤال يمكن تخصيص ستة أمراض، ثلاثة من العالم الجديد، وثلاثة من العالم القديم وأول هذه الأمراض هو السارس الذي ظهر فجأة في عام٢٠٠٣. ليسبب موجة من الرعب الدولي لم يعهدها البشر من قبل، فبسبب طبيعة هذا المرض والتي تتميز بمرور عدة أيام قبل ظهور الأعراض تحدث نسبة عالية من الوفيات، و تمكن خلال فترة بسيطة من قتل المئات من الناس. والمرض الآخر هو إنفلونزا الطيور وهو يصيب فقط الأشخاص الذين يعملون أو يعيشون علي مقربة شديدة من الطيور الحية. ويخشي أن يشهد هذا الفيروس طفرة وراثية تمكنه من الانتقال من شخص لآخر وإن حدث فسيؤثر ذلك علي أكثر من مليار ونصف مليار من الأشخاص، وربما يقتل حينها عشرات

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الملايين منهم. والمرض الثالث هو مجموعة الأمراض المعروفة بأمراض الحمي النزيفية وتتضمن أمراضا مثل الايبولا والماربرج

وحمي الضنك، وتتميز طبيعة هذه الأمراض بظهور أعراضها بسرعة كبيرة ونسبة عالية من الوفيات بين المصابين تصل أحيانا الي ٩٠%، ولحسن الحظ فنفس هذه الخصائص المتمثلة في سرعة المرض والوفاة هي بالتحديد التي منعت هذه الأمراض من الانتشار علي نطاق واسع. أما الأمراض القديمة مثل الملاريا والسل والكوليرا، فيكفي أن نذكر أن الملاريا تقتل الملايين سنويا وكذلك السل، خصوصا بين المصابين بفيروس الإيدز. ومع هذا السيل المنهمر من الأمراض الجديدة اضافة للقديمة يبقي الأمل الوحيد متمثلا في زيادة التعاون الدولي لمكافحة هذه الأوبئة من خلال تبادل المعلومات الصحية والمشاركة في المهارات والتكنولوجيا الطبية الحديثة، أما دون هذا التعاون والتبادل والمشاركة فستعيد الأوبئة المرضية كتابة التاريخ البشري مرة أخري وبثمن فادح سيدفعه كل من الاقتصاد الدولي والأمن العالمي معا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية